**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المحاضرة الرابعة الرواية المغاربية والقضايا التاريخية والثقافية**

**تمهيد:**

تضطلع هذه الأوراق البحثية والمخصوصة بالمحاضرة الرابعة إلى الخوض في قضايا الرواية المغاربية - التاريخية والثقافية أنموذجا، خاصة وأن عديد دراسات تقدم شهادتها حول تأثير هذه القضايا التاريخية والثقافية الكبير على السردية المغاربية المعاصرة، وهذا الذي نستزيد تفصيليته عبر نسيج مركز، مكثف، والبادئة بـــ:

**1-مفهوم الرواية التاريخية:**

من المفاهيم المقدمة عن الرواية التاريخية، أنها "الرواية التي تستعير حبكتها من التاريخ"1. وهناك مفهوم آخر يرى بأن الرواية التاريخية هي تلك "الرواية التي تستوحي موضوعاتها من التاريخ"2. إن الذي يحقق التواشج بين السردية المغاربية والتاريخي، إنما هو عديد عناصر قد تضطلع بها حقائقا، أحداثا، مكانا، زمانا، تسمية، أشخاصا، ....، قد تكون كلها تركيبة تلون المحكي المغاربي، وقد يقع الاختيار على بعضها، إلا أنها في المحصلة ستكون رهانا معرفيا بامتياز تتزين به المدونات السردية المغاربية، مما يؤدى إلى رسم ملامح سردية متمايزة تستحق المدارسة والمساءلة، وهو ما سنسعى إلى مكاشفته من خلال أنموذج القضايا التاريخية في الرواية المغاربية.

**2-الرواية المغاربية والقضايا التاريخية:**

بناء على ما ورد، فإن قراءة في المحكي المغاربي قد كشفت لنا عن علاقة بين التاريخي والرواية، وبهذا تكون السردية المعاصرة قد اشتغلت على تبني التاريخي قضية في متونها، حيث أننا في هذه الأخيرة نتعثر ببعض المدونات وقد احتفظت بالتاريخي حقيقة، أو حدثا، أو شخصية...إلخ، إلا أن الملفت للانتباه أن توظيفية التاريخي في المحكي المغاربي كانت متجاوزة وظيفة تجميع، وتدوين التاريخي في الرواية، وإنما العملية برمتها حسب إحدى الدراسات قد قامت من أجل إعادة تقديم قراءة، وفهم، وتأويل هذا التاريخي الحاضر من الماضي في المدونة السردية، مما يعني فرض "الانتقال من منهج شرح التاريخ إلى مسألة تأويل التاريخ"**3** ، ومن وظيفية ذلك التأويل أنه يفيد في فهم "السلوكيات الإنسانية، ومعرفة الدوافع النفسية والعوامل التي أثرت في فاعلي التاريخ"**4**.

والأهم عن ذلك الفهم والتأويل أنه سيكون خاضعا لناموس التعددية حسب الطرح النيتشوي، التأويل بما هو السبيل لتعددية المعنى، وبهذا يكون الإبداع قد سير المتن الحكائي ليصير بمثابة المِحْمَل الذي تعلق عليه دلالات الرواية، ومنه الانفتاح على المسكوت عنه، واللامحكي، وفضاء لاحتضان الغياب. ومن المفارقات العجيبة أن هذا المحمل حَمَّال أوجه دلالية بعيدا عن أحادية القراءة في السردية المغاربية المعاصرة، ويتم ذلك من خلال زاويا رؤيوية متباينة، ومتعددة بتعدد منابعها ونوعيتها.

عطفا على ما سيق، ومن خلال التاريخي، يتحول النسيج السردي المغاربي إلى فضاء اكتسى اللوينين الحضور والغياب، حيث الظاهر منه بياض ظاهر، مبني على استراتيجية الحضور، والثاني منه غائب مؤثل على خصيصة الغياب، كل ما يحتاجه هو القراءة والتأويل لإدراك مجموع المعاني المحتاجة، تجاوز التعليمية، التقريرية، "التحادثية المألوفة" على حد مصطلح امبرتو إيكو**5** إلى الإنتاجية الدلالية عبر تحيين هذه البياضات لممارسة فعل البوح بها، ومنه التأثيل لعوالم الغياب، حيث التعويل على الأنساق النصية الحكائية المفتوحة.

يتحول النسيج السردي المغاربي إلى تجريب جديد يبيح من خلال عملية الكتابة بالتاريخي إلى إعادة إحياء رسم الذات/ الهوية/ الوطن/ المواطنة/ الأمة/ العروبة/ الأنا / ....، وهذا فقط بعض مما شكل السردية المغاربية، من خلال منطلقات الذات المغاربية الساردة، وقد ضبطت مرجعياتها السردية، فضلا عن قضاياها، وغاياتها....إلخ.

كما أن الكتابة بالتاريخي، إنما هي إعادة بعث التاريخي، فمع الأمير لواسيني الأعرج المراد من تلك الرجعة إنما هو تأويلية الحوار الحضاري بين الديانات، الثاقافات، الشعوب، بل يراد بها بشكل أعمق مجموع القواسم المشتركة الباعثة على هذا الحوار الحضاري، أو بالأحرى الانفتاح على الحوار الحضاري**7**.

وفي زاوية متطرفة من الطرح، يصير تحيين التاريخي في الخطاب السردي المغاربي، المنفذ الذي من خلاله تعبّر الايديولوجيا عن اختلافيتها، وبعيدا عن أحادية الطرح، وبالتالي تسمح السردية المعاصرة، بل سمحت بتمرير الايديولوجي المتعدد، وبهذا بتنا نقرأ الايديولوجيا وهي تحمل عبر مساقات التاريخي، فهناك اليساري، اليميني، المتطرف، المعتدل، الإسلاموي، الاشتراكي، الرأسمالي**8**....إلخ، كلها مسارات للايديولوجيا يمكنها أن تشكل رؤى عبر إعادة طرح التاريخي، الديوان الاسبرطي أنموذجا، حيث البطل لما يناصر التعامل مع العثمانيين فإنما ذلك رأي ايديولوجي محمل بدلالات ثرة معمقة منوعة للبطل كموقف، ولكنه موقف من التاريخ وعبر التاريخ لتأسيس التاريخي كرؤيا ايديولوجية.

التاريخي يسجل حضوره الفاعل في السردية المغاربية من باب حاجات الراهن المغربي، وبالتالي يعتلج التاريخي مع السردي في فضاء واحد، ومن ذلك ما كتب باسم التاريخي عن قضايا الفساد السياسي من باب المكاشفة، وعليه باتت حاجة اليومي والراهن هي التي دفعت بالكاتب إلى اختيار التاريخي.

يتفاعل المتخيل السردي مع الثقافي، كحضور مكثف في بعض المدونات المغاربية، وعلى وجه أخص مع ابراهيم الكوني، فقد كان عالما قائما بذاته من تلك النكهة الثقافية الليبية تحديدا، وتحيينها في السردية المغاربية المعاصرة، إننا نتحدث عن الاسم "جورتن" ومعناه البطل الكبير، وكيف يصير الصراع بين الهوية واللاهوية، المركز والهامش، الانتماء واللانتماء، الوطن والبيروقراطية... سلسلة من الصراعات بين ثنائيات كشفت عن غطائها الرواية المازجة بين التاريخي والسردي**6**.

تتنوع الثقافة عند ابراهيم الكوني من حيث كونها رسوما....لغة... آثار، إلا أنها ستبقى جزءا من الثقافة الليبية، والأهم، كيف أنها كانت تسرق وتباع وتنتهك وكأنه لا رابط يربطها بالوطن والهوية والأنا والوجود.